الفعل وذاتية السلب ،مظهرها ودلالتها في الحديث النبوي
دراسة في صحيح مسلم أنموذجًا

أ.مريم علي عبد الله القعود
كلية التربية أبي عيسى- جامعة الزاوية

تمهيد :

يدرس هذا البحث ظاهرة النفي في بعض مظاهرها وهي النفي الذاتي للفعل دون استعمال حروف النفي أو النهي، وإبراز الاستخدام النبوي لها وقدرته على إنجاز الرسالة اللغوية عبر بناء الجمل ودلالاتها؛ فالنفي الذاتي للفعل هو نفي ضمني يُفهم سياقياً من خلال أساليب معينة أو مفردات معينة ، ولا عجب فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح العرب، تحدث باللغة الفصحى دون أن يكون له حظ من القراءة أو الكتابة أو التعلم وقد توافرت ظروف كثيرة ساعدت أهل عصر النبوة على تقبل نصوص الحديث وفهمها، فقد عايشوا الخطاب النبوي وأدركوا معانيه وعرفوا مقاصده وشهدوا سياقاته ،وإن طول الأمد وامتداد الأزمنة جعل الأجيال اللاحقة أقل حظاً في التواصل مع النص النبوي وفهم مراميه وتوجيهاته ،ومن جهل العربية جهل كلام النبوة ،وعرَّضه للشبهة والتناقض فهلك وأهلك، وجرَّ على نفسه تبعات ما كان ينبغي له أن يجرها ،قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَنِي خَاتِمًا وَأُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ وَخَوَاتِمَهُ، وَاخْتُصِرَ لِيَ الْحَدِيثُ اخْتِصَارًا، فَلَا يُلْهِيَنَّكُمُ الْمُتَهَوِّكُونَ»[1] ،فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حُف بالعصمة، وشُيد بالتأييد، ويُسر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الأفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا

أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى، من كلامه صلّى الله عليه وسلّم كثيرًا[2].

ــ وتأسيساً على ما سبق فإن هذا البحث يهدف إلى التأكيد على براعة النبي صلى الله عليه وسلم في توظيف خاصية النفي الذاتي للفعل ومدى توافقها مع ما جاء عند علماء النحو بِناءً على الواقع اللغوي المستخدم في لغة الحديث ...

ــ يتناول هذا البحث الإشارة إلى بعض مواطن الدلالة السلبية للفعل دون أن تكون لأدوات النفي أو النهي علاقة بهذه السلبية؛ فتكون الدلالة السلبية للفعل ذاتية تُفهم من دون وجود أداة مساعدة على إدراكها، و يحاول البحث تبيان الدلالة الذاتية لسلبية الفعل والإشارة إليها في بعض النصوص الحديثية ، والتأكيد على ما امتازت به لغة الحديث النبوي من ثراء وسعة وقدرة عجيبة في التفاعل مع المتلقي من خلال التنوع اللغوي في الاستخدام النبوي ...

وجاء البحث في تمهيد وثلاثة مطالب وخاتمة:

المطلب الأول : الدلالة السلبية الذاتية لأفعال المقاربة .

المطلب الثاني : الدلالة السلبية الذاتية لأفعال الرغبة والإرادة

المطلب الثالث : الدلالة السلبية الذاتية لأفعال الرفض .

ويعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي القائم على وصف المفردة ثم تحليلها وفق النص النبوي على ما ورد في صحيح مسلم ...

تقديم:

ثبوت شيء لشيء إيجاب وانتفاؤه عنه سلب، والإيجاب والسّلب قد يراد بهما الثبوت واللا ثبوت، وقد يعبّر عنهما بالوقوع واللا وقوع ،وبوقوع النسبة ولا وقوعها، وقد يراد بهما إيقاع النسبة وانتزاعها أي رفعها. وبعبارة أخرى الإيجاب إيقاع النسبة الثبوتية والسّلب رفع الإيجاب أي الثبوت...[3] فالسلب: انتزاع النسبة[4].

وقد عقد ابن جني باباً في الخصائص أسماه السلب فقال: " اعلم أن كل فعل أو اسم مأخوذٍ من الفعل أو فيه معنى الفعل، فإن وضع ذلك في كلامهم على إثبات

معناه لا سلبهم إياه، وذلك قولك: قام فهذا لإثبات القيام، وجلس لإثبات الجلوس، وينطلق لإثبات الانطلاق، وكذلك الانطلاق ومنطلق: جميع ذلك وما كان مثله إنما هو لإثبات هذه المعاني لا لنفيها، ألا ترى أنك إذا أردت نفي شيء منها ألحقته حرف النفي فقلت: ما فعل، ولم يفعل، ولن يفعل ،ولا تفعل، ونحو ذلك، فابن جني هنا يجعل السلب مرادفاً للنفي، لكنه لا يقصد النفي باستعمال الأداة ، بل من خلال استعمال ألفاظ من كلامهم من الأفعال ومن الأسماء الضامنة لمعانيها، في سلب تلك المعاني لا إثباتها[5]. فهو يُبَيِّن أن السلب معنى حادث على إثبات الأصل الذي هو الإيجاب؛ فلما كان السلب معنى زائدًا حادثًا لاقى به من الفعل ما كان ذا زيادة؛ من حيث كانت الزيادة حادثة طارئة على الأصل الذي هو الفاء والعين واللام[6].

النفي أسلوب لغوي تحدده مناسبات القول وهو أسلوب نقض وإنكار يلجأ إليه لدفع ما يتردد في ذهن المخاطب[7]، وهو بهذا يفيد عدم ثبوت نسبة المسند إلى المسند إليه في الجملة الفعلية أو الاسمية ، فالنفي هو الإخبار بالسلب ، يهدف به المتكلم إخراج حكم تركيب لغوي مثبت إلى ضده ، وتحويل معنى ذهني في الإيجاب والقبول إلى حكم يخالفه إلى نقيضه، دون استعمال لأدوات النفي، ودلالة السلب الداخلي للفعل تستفاد من أفعال المقاربة والرجاء والشروع ،ومن الموقف الكلامي، ومن السياق ...

المطلب الأول- دلالة (السلب) النفي الذاتي في سياق أفعال المقاربة:

أفعال المقاربة: ما وضع لدنو الخبر، رجاء أو حصولًا[8] ،وسميت بأفعال المقاربة؛ وهذا من باب تسمية الكل باسم الجزء كتسميتهم الكَلاَمَ كلمة، وحقيقةُ الأمر أن أفعال الباب ثلاثة أنواع: ما وضع للدلالة على قُرْبِ الخبر وهو ثلاثة : كَادَ وأَوْشَكَ وكَرَبَ وما وضع للدلالة عَلَى رَجَائِه وهو ثلاثة : عَسَى واخْلَوْلَقَ وحَرَى ،وما وضع للدلالة على الشروع فيه وهو كثير ومنه: أنْشَأَ وطَفِقَ وجِعَلَ وعَلِقَ وأَخَذَ[9].

وهذا البحث يعنى فقط بما وضع للدلالة على قُرْبِ الخبر وهو ثلاثة: (كَادَ وأَوْشَكَ وكَرَبَ) فهذه الأفعال دالة على نفي مضمون خبرها.

ـ الفعل (كاد) مثبت ودلالة النفي الذاتي :

قال الرضي:" قال بعضهم في كاد: إن نفيه إثبات وإثباته نفي"[10] ، ثم يتساءل وكيف يكون إثبات الشيء نفيه؟ ويجيب أن إثبات كاد، دال على نفي مضمون خبره، وهذا صحيح وحق، لأن قربك من الفعل لا يكون إلا مع انتفاء الفعل منك، إذ لو حصل منك الفعل لكنت آخذاً في الفعل، لا قريباً منه[11]، وإلى هذه الدلالة أشار السيوطي مستدلاً بقوله تعالى:﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ﴾[12]، وَلم يضيء[13]؛ إذ معناها المقاربة لا وقوع الفعل ؛فنفيها نفي لمقاربة الفعل؛ ويلزم منه نفي الفعل ضرورة أن من لم يقارب الفعل لم يقع منه الفعل، وإثباتها إثبات لمقاربة الفعل ولا يلزم من مقاربته الفعل وقوعه ؛فقولك: (كاد زيد يقوم) معناه قارب القيام، وقولك: (لم يكد زيد يقوم) معناه لم يقارب القيام فضلاً عن أن يصدر منه، ومنه﴿ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[14]؛ أي لم يقارب أن يراها فضلاً عن أن يرى ،﴿وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[15]؛ أي لا يقارب إساغته فضلاً عن يسيغه، وعلى هذا الزجاجي وغيره، وذهب قوم ؛منهم ابن جني إلى أن نفيها يدل على وقوع الفعل بعد بطء لآية ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾[16] فإنهم فعلوا بعد بطء؛ ويجيب السيوطي على هذا التوجيه بأنها محمولة على وقتين؛ أي فذبحوها بعد تكرار الأمر عليهم بذبحها، وما كادوا يذبحونها قبل ذلك ولا قاربوا الذبح ،بل أنكروا ذلك أشد الإنكار بدليل قولهم ﴿تَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾[17]، ويُبَيّن الأشموني أن حكم (كاد) حكم سائر الأفعال، وأن معناها منفي إذا صحبها حرف نفي، وثابت إذا لم يصحبها، فإذا قال قائل:(كاد زيد يبكي) فمعناه قارب زيد البكاء، فمقاربة البكاء ثابتة، ونفس البكاء منتف، وإذا قال: (لم يكد يبكي) فمعناه لم يقارب البكاء، فمقاربة البكاء منتفية، ونفس البكاء منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة...[18]، فضلاً عن الإخبار بقرب وقوع الخبر يقتضي عرفاً عدم حصوله، وإلا لأخبر بحصوله، إذ لا يحسن أن يقال لمن صلى قد قارب الصلاة...[19].

فالفعل كاد وضع لمقاربة وقوع الشيء الذي لم يقع، إذ أنه إن وقع خرج من السلب إلى الإيجاب ؛ لكن عدم وقوعه يستدعي دلالة السلب الذاتية للفعل، فالفعل لم

يتحقق رغم مقاربة وقوعه ،فسلبية الفعل هنا ذاتية تستفاد من الفعل ذاته؛ إذ لم يعتمد الفعل فيها على أداة نفي ؛أي أن الفعل المفرد هو أساس المعنى الذي يظهر من ذاته ومن داخله ؛ فكاد تستعمل لمقاربة حصول الفعل، أي قارب الحصول ولم يحصل[20] ورد في صحيح مسلم عن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ حِبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ: لِمَ تَدْفَعُنِي؟ فَقُلْتُ: أَلَا تَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِي سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي»[21].

الفعل (كاد) دل على مقاربة ذات الفعل[22]، فاليهودي قارب الوقوع في الصرع حتى لم يبق بينه وبين الدخول فيه زمن ، لكنه لم يصرع وإن اقترب اقتراباً شديداً من الصرع، فالسلب متحقق في عدم وقوع الصرع أصلاً ،فلم يحدث الصرع لِلْحِبْرِ اليهودي، الذي تساءل لِمَ تَدْفَعُنِي؟ ثم تفاعل في الحوار عندما قال: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فبهذا التفاعل في الحوار يتضح عدم تحقق فعل الصرع، لكنه اقترب اقتراباً كبيراً من إيقاعه وإهلاكه فقد قارب أن يصرع من شدة الضربة،... فكاد في قوله (كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا) توجب أن يكون الفعل شديد القرب من الحال، فأتى بلفظ الفعل(يصرع) ليكون أدل على الغرض، وجَرَّدَ الفعل من (أن) لأنه أراد قرب وقوعه في الحال و(أن) تصرف الكلام إلى الاستقبال فلم يأت بها لتدافع المعنيين...[23]؛ ولذا لو أنك قلت: "كاد زيد يذهب بعد عام" لم يجز[24]؛ فنتيجة المقاربة مع الْحِبْر اليهودي جاءت سلبية فالصرع هنا منتفي الحدوث.

وأيضاً ورد عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: اشْتَكَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّيْنَا وَرَاءَهُ وَهُوَ قَاعِدٌ، وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ تَكْبِيرَهُ، فَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَرَآنَا قِيَامًا، فَأَشَارَ إِلَيْنَا فَقَعَدْنَا فَصَلَّيْنَا بِصَلَاتِهِ قُعُودًا فَلَمَّا سَلَّمَ قَالَ: «إِنْ كِدْتُمْ آنِفًا لَتَفْعَلُونَ فِعْلَ فَارِسَ وَالرُّومِ يَقُومُونَ عَلَى مُلُوكِهِمْ، وَهُمْ قُعُودٌ فَلَا تَفْعَلُوا ائْتَمُّوا بِأَئِمَّتِكُمْ إِنْ صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا وَإِنْ صَلَّى قَاعِدًا فَصَلُّوا قُعُودًا»[25].

في قوله: (إن كدتم آنفاً لتفعلون...) ينفي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصحابة فعل فارس والروم في قيامهم على ملوكهم ،ولم يستعمل حرف نفي؛ بل استعمل فعلاً حمل دلالة السلب في داخله، فالفعل(كدتم) سلب دلالة خبره (تفعلون) فهم قاربوا الوقوع في التشبه بفعل فارس والروم في القيام على ملوكهم لكنهم لم يفعلوا، ففعلهم في حيز الانتفاء فهو غير واقع حقيقة ، وكانت نتيجة المقاربة هنا سلبية، لأن قربهم من الفعل لا يكون إلا مع انتفاء الفعل منهم، إذ لو حصل منهم الفعل لكانوا آخذين في الفعل، لا قريبين منه[26]، بدليل أنهم قعدوا في الصلاة عندما أشار إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بالقعود، فبوجود الفعل (كدتم) سُلِبَت دلالة (تفعلون) وفي هذا تعبير سلوكي على مدى حرصهم على طاعة النبي صلى الله عليه وسلم ومحبته...

ـ الفعل (كاد) منفي ودلالة النفي الذاتي:

سبقت الإشارة إلى اختلاف أئمة العربية في مفاد كاد المنفية في نحو: (ما كاد يفعل) فذهب قوم منهم الزجاجي إلى أن نفيها يدل على نفي مقاربة الفعل وهو دليل على انتفاء وقوع الفعل بالأولى ،فيكون إثبات كاد نفيًا لوقوع الخبر الذي في قولك كاد يقوم ؛أي قارب ،فإنه لا يقال إلا إذا قارب ولم يفعل ،ونفيها نفيًا للفعل بطريق فحوى الخطاب ،فهو كالمنطوق ...، ولعلهم يجعلون الجمع بين خبرين متنافيين في الصورة قرينة على قصد زمانين[27]، وإلى هذا ذهب ابن مالك في «الكافية» إذ قال:

وبثبوت كاد ينفى الخبر ... وحين ينفى كاد ذاك أجدر

إذا قلت: "كاد يفعل" إنما تعني: قارب ولم يفعل ،فإذا قلت: "لم يكد يفعل" كان المعنى: إنه لم يفعل، ولم يقارب الفعل على صحة الكلام[28]، ورد في الحديث عَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَيْنِ قَدْ رَأَيْتُ أَحَدَهُمَا، وَأَنَا أَنْتَظِرُ الْآخَرَ حَدَّثَنَا: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَعَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، وَعَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ»، ثُمَّ حَدَّثَنَا عَنْ رَفْعِ الْأَمَانَةِ قَالَ: "يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الْأَمَانَةُ مِنْ

قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثْلَ الْمَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَى رِجْلِكَ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ – ثُمَّ أَخَذَ حَصًى فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ – فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُونَ لَا يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الْأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلَانٍ رَجُلًا أَمِينًا، حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ وَلَقَدْ أَتَى عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أَيُّكُمْ بَايَعْتُ، لَئِنْ كَانَ مُسْلِمًا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ دِينُهُ، وَلَئِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا الْيَوْمَ فَمَا كُنْتُ لِأُبَايِعَ مِنْكُمْ إِلَّا فُلَانًا وَفُلَانًا"[29]. ورد الفعل (يكاد) منفياً بلا النافية ،(لا يكاد أحد يؤدي الأمانة)، أي لا يقارب أداء الأمانة، فضلاً على أن يكون أميناً فيكون أشد في المذمة، فـ(لايكاد...) يقتضي بحسب الوضع نفي مدلول كاد، فإن مدلولها المقاربة ونفي مقاربة الفعل يقتضي عدم وقوعه بالأولى[30]، فإذا قال قائل: (كاد زيد يبكي) فمعناه قارب زيد البكاء، فمقاربة البكاء ثابتة، ونفس البكاء منتف، وإذا قال: (لم يكد يبكي) فمعناه لم يقارب البكاء، فمقاربة البكاء منتفية، ونفس البكاء منتف انتفاء أبعد من انتفائه عند ثبوت المقاربة...[31]، فضلاً عن الإخبار بقرب وقوع الخبر يقتضي عرفاً عدم حصوله، وإلا لأخبر بحصوله، إذ لا يحسن أن يقال لمن صلى قد قارب الصلاة...[32]؛ فالتعبير بكاد المنفية فيه دلالة واضحة على قلة المحافظين على الأمانة فقد سلب الفعل كاد من الجملة التابعة له دلالة قربهم من أداء الأمانة فضلاً عن وقوعها منهم ، وإن وجد عن قلة و ندرة ، بل ربما بصعوبة وبطء ،حيث قدم النص النبوي هذه النتيجة (حتى يقال إن في بني فلان رجلاً أميناً)، وما كان هذا ليقال لولا وجود هذا الرجل الأمين على قلته، والحديث فيه تعريض بهم بذكر حال تضييع الأمانة والتفريط فيها، فالحديث يصور انتزاع الأمانة من القلوب الخائنة تصويرًا محرجاً؛ فهي كذكريات الخير في النفوس الشريرة تمر بها وليست منها...

ـ الفعل (يوشك) ودلالة النفي الذاتي:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: «إِنَّ فِي الْبَحْرِ شَيَاطِينَ مَسْجُونَةً، أَوْثَقَهَا سُلَيْمَانُ، يُوشِكُ أَنْ تَخْرُجَ، فَتَقْرَأَ عَلَى النَّاسِ قُرْآنًا»[32].

يخبر عبد الله بن عمرو عن وجود شياطين مسجونة في البحر، ويؤكد استمرار سجنها نافياً خروجها من وثاقها مستعملاً في النفي فعل المقاربة (يوشك)، وهو أبعد في الدلالة على الاستقبال فقوله (يوشك) معناه يقرب[33] لكنه لم يقع بعد، بدليل أن فعل الخروج جاء مسبوقاً بـ(أن) وهي تصرف الكلام إلى المستقبل، تقول: يوشك أن تجيء، كأنك قلت: قاربت أن تفعل[34] فالخروج لم يقع، فلا يمكن لمن خرج أن يُقال له يوشك أن يخرج ، وبهذا تتضح دلالة السلب في عدم تحقق الفعل (تخرج).

ومنه أيضاً ما ورد عَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ، وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[35]. استهل النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث بالتأكيد أولاً بإنَّ المؤكدة في أمر الحلال وأمر الحرام فقال: "إن الحلال بين والحرام بين"، وتأكيد ثان في الإخبار عنهما باختيار لفظ "بين" من البيان وهو البلاغة، وتأكيد ثالث بالشدة على الياء في "بيّن" ليزداد المعنى ثراء، وهو أبلغ من التعبير بالوضوح، إذا قيل الحلال واضح، ثم تأكيد رابع في التكرار لكلمة بيّن، ليقوى الترغيب ويزداد الإقبال[36].فالراعي الذي يرعى غنمه في مرعى قريب من حقل خصيب، يحميه صاحبه ويحافظ عليه، فلا يأمن منه على غنمه، مهما كان حذرًا وشديد الحراسة، أن تتسلل للحقل المحمي، فترعى منه، وتعرضه للمؤاخذة والعقاب، لذلك كان من الأفضل له، أن يختار له مرعى بعيدًا عن هذا الحقل والحمى، وكذلك المسلم، ينبغي أن يبتعد عن الشبهات في القول أو الفعل، حتى لا ينتهي الأمر به إلى التردي في الحرام، فيهلك... فالنبي

صلى الله عليه وسلم نفى دخول الراعي إلى الحمى دون استعمال أداة النفي بل استدعى دلالة النفي من خلال الفعل (يوشك) الدال على المقاربة وهو مُضَمَّن ذاتياً دلالة السلب فالذي لم يقارب الفعل لم يقع منه الفعل[37]، فمقاربة الوقوع ثابتة لكن الوقوع ذاته لم يتحقق[38] فلا يحسن أن يقال لمن رتع في الحمى قد قاربت الرتع فيه...

المطلب الثاني- دلالة (السلب) النفي الذاتي لأفعال الإرادة و الرغبة:

الأفعال على ضروب ثلاثة: فضرب منها يقين وهو عَلِمتُ ،وضَرب هو لتوقعِ الشيءِ نحو: رجوتُ وخفتُ، وضربٍ هو بينهما يُحمل على ذا، وعلى ذَا نحو: ظننتُ وحسبتُ[39]. وفي العربية أفعال تعبر عن إرادة صاحبها وميله ورغبته إلى إحداث أمر ما، حيث إن الفاعل همَّ بالفعل وأراد إنجازه ولكن لأمر ما لم يستطع إنجاز الفعل وتحقيقه، فتكون النتيجة سلبية، وهذه الدلالة السلبية مستفادة من الفعل ذاته دون الحاجة لاستدعاء أداة نفي، فالسلب مُضمَّن في أصل وضع الفعل وبهذا يكون الفعل هو الموجه الحقيقي لدلالة السياق على النفي الذاتي و نجد هذه الدلالة واضحة في النصوص الحديثية الآتية :

الفعل (أراد) ودلالة النفي الذاتي:

ورد عن أبي سعيد الخدري، أن ناساً في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فأجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قال... حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلَّا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ تَعَالَى مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ أَتَاهُمْ رَبُّ الْعَالَمِينَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي أَدْنَى صُورَةٍ مِنَ الَّتِي رَأَوْهُ فِيهَا قَالَ: فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ تَتْبَعُ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ، قَالُوا: يَا رَبَّنَا، فَارَقْنَا النَّاسَ فِي الدُّنْيَا أَفْقَرَ مَا كُنَّا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ نُصَاحِبْهُمْ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْكَ لَا نُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى إِنَّ بَعْضَهُمْ لَيَكَادُ أَنْ يَنْقَلِبَ، فَيَقُولُ: هَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ آيَةٌ فَتَعْرِفُونَهُ بِهَا؟ فَيَقُولُونَ: نَعَمْ، فَيُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ فَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ لِلَّهِ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ إِلَّا أَذِنَ اللهُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَلَا يَبْقَى مَنْ كَانَ يَسْجُدُ اتِّقَاءً وَرِيَاءً إِلَّا جَعَلَ اللهُ ظَهْرَهُ طَبَقَةً وَاحِدَةً،

كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ،...[40] في قوله (كُلَّمَا أَرَادَ أَنْ يَسْجُدَ خَرَّ عَلَى قَفَاهُ،...) دل الفعل (أراد) على رغبة المنافق في السجود لكن هذه الرغبة بقيت رغبة ولم يحدث الفعل ،فالإرادة دلت على السلب وكانت النتيجة أن خرَّ على قفاه رغم تكرار المحاولات ففي كل مرة يريد فيها إحداث السجود يخر على قفاه لأنه كان في الدنيا يسجد اتقاءً ورياءً ، فجعل الله ظهره طبقة واحدة امتنع معها إحداث السجود المراد، فتحقق السلب في عدم السجود مع الرغبة والإرادة في ذلك...[41].

وورد عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ عَمْرُو بْنُ عَبَسَةَ السُّلَمِيُّ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ، وَأَنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا، فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَءَاءُ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ: «أَنَا نَبِيٌّ»، فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ: «أَرْسَلَنِي اللهُ»، فَقُلْتُ: وَبِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ، قَالَ: «أَرْسَلَنِي بِصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ»، قُلْتُ لَهُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: «حُرٌّ، وَعَبْدٌ»، قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمَئِذٍ أَبُو بَكْرٍ، وَبِلَالٌ مِمَّنْ آمَنَ بِهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنِ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي»، قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي وَقَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَتَخَبَّرُ الْأَخْبَارَ، وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، حَتَّى قَدِمَ عَلَيَّ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةَ، فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا النَّاسُ: إِلَيْهِ سِرَاعٌ وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ»، قَالَ: فَقُلْتُ: بَلَى[42].

الفعل (أراد) يحمل الدلالة السلبية في قوله: "وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ" وهذا السلب نجده في رغبة مشركي قومه في قتله والتخلص منه ومن دعوة التوحيد التي جاء بها والمنافية لشركهم، بأنواع من المكر والخديعة المذكورة عنهم في كتب السير[43]، وكانت نتيجة هذه الرغبة بأن حفظه الله عز وجل منهم ومن كيدهم

ويسر له الخروج من مكة، وبهذا سلبت دلالة الفعل (أراد) مما يليها وهو(القتل) الذي انعدم وقوعه بهجرة النبي صلى الله عليه وسلم فلم يستطيعوا قتله؛ فإرادتهم لقتله والتخلص منه لم تتحقق وكانت نتيجة هذه الإرادة السيئة السلبية ...

الفعل (رجا) ودلالة النفي الذاتي:

ورد أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا، قَالَ فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ، حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[44].

الفعل (يرجون) يفيد الرجاء ، وهو توقع لما يمكن حصوله من خير، والفعل (يرجون) في قوله: "كلهم يرجون أن يعطاها" دال على رغبة كل منهم في حيازة الراية، وما رجاه المؤمنون وأملوا الحصول عليه غير متحقق للجميع وإنما لمن أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصه بالراية فالفعل (يرجون) لا يحمل من دلالة التحقق إلا الرغبة والأمل، وبذا تكون الدلالة وفق سياقه الجمعي سلبية...

ومنه ما ورد أن أَنَسَ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: مَرَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَمِعَتْ أُمِّي، أُمُّ سُلَيْمٍ صَوْتَهُ، فَقَالَتْ: بِأَبِي وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ أُنَيْسٌ، «فَدَعَا لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثَلَاثَ دَعَوَاتٍ» قَدْ رَأَيْتُ مِنْهَا اثْنَتَيْنِ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَرْجُو الثَّالِثَةَ فِي الْآخِرَةِ ...[45].

فقوله (أرجو الثالثة في الآخرة) فلم يبينها وهي المغفرة[46] فالفعل (أرجو) دال على عدم تحقق الدعوة الثالثة ؛فلم يحمل الفعل من دلالة التحقق سوى الرغبة والأمل

في حصول المغفرة في الآخرة ؛ولذا استعمل الفعل (أرجو) الذي أفاد تعلق الأمل في الخير ممن يرتجى منه، وبذا تكون الدلالة وفق سياقه سلبية...

الفعل (همَّ) ودلالة النفي الذاتي:

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ عِفْرِيتًا مِنَ الْجِنِّ جَعَلَ يَفْتِكُ عَلَيَّ الْبَارِحَةَ، لِيَقْطَعَ عَلَيَّ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ اللهَ أَمْكَنَنِي مِنْهُ فَذَعَتُّهُ، فَلَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَرْبِطَهُ إِلَى جَنْبِ سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، حَتَّى تُصْبِحُوا تَنْظُرُونَ إِلَيْهِ أَجْمَعُونَ – أَوْ كُلُّكُمْ – ثُمَّ ذَكَرْتُ قَوْلَ أَخِي سُلَيْمَانَ:﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[47]، فَرَدَّهُ اللهُ خَاسِئًا"[48]، في قوله (هممت أن أربطه...) لم يحدث الربط ولم يتحقق، والفعل(همَّ) وجملة (أربطه) التابعة له سالبة الدلالة إذ لا وقوع للربط، ولم يتحقق من الهمِّ إلا الرغبة فقد امتنع الرسول صلى الله عليه وسلم من ربطه تذكره دعوة النبي سليمان عليه السلام ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي﴾[49]، معناه أنه مختص بهذا فامتنع نبينا صلى الله عليه وسلم من ربطه؛ إما أنه لم يقدر عليه لذلك؛ وإما لكونه لما تذكر ذلك لم يتعاط ذلك لظنه أنه لم يقدر عليه أو تواضعاً وتأدباً...[50]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَدَ نَاسًا فِي بَعْضِ الصَّلَوَاتِ، فَقَالَ: «لَقَدْ هَمَمْتُ أَنَّ آمُرَ رَجُلًا يُصَلِّي بِالنَّاسِ، ثُمَّ أُخَالِفَ إِلَى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عَنْهَا، فَآمُرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عَلَيْهِمْ، بِحُزَمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا» يَعْنِي صَلَاةَ الْعِشَاءِ[51]، الفعل(همَّ) في قوله (هممت أن آمر رجلاً...) لم يحمل من الدلالة على الحدث سوى رغبة الرسول صلى الله عليه وسلم في تحريق بيوت المنافقين لنفاقهم؛ لكَنَّهُ لَمْ يفعل التحريق، وإنما توعد بِهِ[52].

وقد بقي في مسجده ولم يأمر رجلاً ، ولم يصلِ الرجل بالناس، ولم يذهب النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيوت المنافقين، ولم يحرقها وكل هذه الدلالات السلبية أفادها الفعل (همَّ)، ولو كانت صلاة الجماعة في المسجد فرض عين لما ترك فعل ما همَّ به...[53] فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يحرق بيوت المنافقين لنفاقهم؛ وإنما توعد

بِه[54]، وإنما قاله على وجه المبالغة ولم يفعله[55]. فالفعل (همَّ) سلب الدلالة الإيجابية من الجملة التالية له (أخالف ... فآمر... يصلي ، فيحرقوا...)

الفعل (ودَّ) ودلالة النفي الذاتي:

الفعل (ودَّ) لا يحمل من دلالة الإثبات سوى تمني حدوث الفعل ، فإن حصل كانت الدلالة إيجابية، وإن لم يحصل سلبت هذه الدلالة من الجملة التابعة له، وقد ورد عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتَى الْمَقْبُرَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ: «أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: "فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ أُنَادِيهِمْ أَلَا هَلُمَّ فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ سُحْقًا سُحْقًا"[56]، المراد بقوله صلى الله عليه وسلم :(وددت أنا قد رأينا إخواننا) فالشيء المودود هنا رؤية إخوانه من بعده، أي رأيناهم في الحياة الدنيا[57] فالفعل (وددت) لا يحمل من دلالة الإثبات سوى تمني حدوث الفعل، وإنما تبقى دلالته في رغبة حدوث الرؤية ونتيجة هذه الرغبة سلبية ،وقد سُلبت الدلالة الإيجابية من الجملة التالية له ،فلم تحدث رؤية إخوانه الآتين من بعده، فالرؤية واقعة في حيز الانتفاء، بدليل قوله: (وإخواننا الذين لم يأتوا بعد ... وأنا فرطهم على الحوض...) وهذا إخبار أن إتيانهم سيكون يوم القيامة وقد اقترن الفعل(وددت) بلو التي للتمني؛ ولو تكون للتمني إلا حيث يكون الأمر مستحيلاً أو في حكم المستحيل، نحو قوله تعالى عن يوم القيامة:﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ﴾[58]

المطلب الثالث– دلالة (السلب) النفي الذاتي لأفعال الرفض:

توجد أفعال يتضح فيها معنى الرفض القاطع والامتناع وهذه الأفعال اكتسبت هذه الدلالة الذاتية من خلال استعمالها وحينئذ تسلب الدلالة الإيجابية من الجملة التي

تتبعها في التركيب ففي قولنا أمسك زيدٌ ماله؛ فالمعنى امتناع متعلقه المتمثل في البذل والإنفاق؛ أي أن جملة (أمسك زيدٌ ماله)، أعطت دلالة جملة (لم يعطِ زيدٌ ماله) فالجملتان سلبيتا الدلالة لكن سلبية الدلالة في الجملة الأولى مستفادة من الفعل (أمسك) أما في الجملة الثانية فسلبية الدلالة مستفادة من دخول حرف النفي (لم) على الفعل ؛ أي أن دلالة السلب في الجملة الأولى ذاتية من الفعل في حين دلالة السلب في الجملة الثانية مكتسبة من حرف النفي...

قال كعب بن مالك ...سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ وَيَقُولُ: «أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ» قَالَ فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ أَمْ مِنْ عِنْدِ اللهِ فَقَالَ: «لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ اللهِ» وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، قَالَ: وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ، قَالَ: فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَى اللهِ وَإِلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمْسِكْ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ» قَالَ: فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ[59] ، وظَّف النبي صلى الله عليه وسلم دلالة السلب الذاتية للفعل (أمسك) فلم يقل : لا تتصدق بمالك كله، وإنما أمره صلى الله عليه وسلم بالاقتصار على الصدقة ببعضه خوفًا من تضرره بالفقر وخوفًا أن لايصبر على الإضاقة[60] وَقَوله: إِن من تَوْبَتِي أَن انخلع من مَالِي. معنى أنخلع منه أخرج منه وأتصدق به[61] فَلَمَّا صدقت تَوْبَته رأى أَن من عَلامَة ندمه قطع الْقَاطِع، لِأَنَّهُ لَوْلَا مَاله مَا قعد، فَلم يمنعهُ الرَّسُول من ذَلِك، وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ: "أمسك بعض مَالك فَهُوَ خير لَك". لعلمه أَن الْقَاطِع إِنَّمَا هُوَ الْفَاضِل عَن الْحَاجة[62] فالسياق هنا يوجه دلالة الفعل (أمسك) إلى السلب، فالنبي صلى الله عليه وسلم منع كعباً من التصدق بماله أجمع، لكنه في هذا المعنى لم يأتِ مباشرة بحرف نفي وإنما استعمل فعلاً دالاً بسياقه على منع التصرف في جميع ماله؛ حيث حمل الفعل(أمسك) دلالة السلب على ما بعده فعوضاً عن قوله لا تنفق مالك كله قال (أمسك) وفهم كعب هذه الدلالة فاستعمل الفعل ذاته فقال: فَإِنِّي

أُمْسِكُ سَهْمِيَ الَّذِي بِخَيْبَرَ. والمعنى لن أتصدق بسهمي الذي في خيبر، فالإمساك هنا سلب وقوع الصدقة بهذا المال ...

الخاتمة:

تحدث البحث عن التوظيف النبوي لخاصية السلب الذاتي للفعل في بعض مظاهرها ودلالاتها وأكد البحث على :

ـ اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم على سعة دلالات اللغة العربية الظاهرة والضمنية ووظف خاصية النفي الذاتي للفعل في خطاباته على النحو الذي يفهمه عنه المتلقي في زمن الفصاحة العربية وما بعدها من أزمنة ضعفت فيها علاقة المتلقي باللغة فمهمة النبي صلى الله عليه وسلم البيان والتوضيح للناس كافة ...

ـ سعة مفهوم السلب الذاتي بحيث تحصل الدلالة من الفعل ذاته دون الاعتماد على حرف نفي أو نهي ...

ـ للنص الحديثي قدرة عجيبة في توظيف السلب الذاتي وما له من دلالات في مخاطبة المتلقي ، ويوصي البحث بأهمية الدراسة اللغوية للنص النبوي وأثرها في فهم المراد من الخطاب النبوي ... وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المراجع:

1 ـ القرآن الكريم برواية حفص

2 ـ أسرار العربية ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري (المتوفى: 577هـ) دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط 1، 1420هـ- 1999م

3 ـ الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (المتوفى: 316هـ) تح :عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان – بيروت، د/ ت ط

4 ـ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (المتوفى: 761هـ) ،تح ،يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د/ ت ط

5 ـ البيان والتبيين ،عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: 255هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، 1423 هـ، د/ت ط

6 ـ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: 1984 هـ

7 ـ التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف، علي علي صبح، المكتبة الأزهرية للتراث، ط1 ، 1423 هـ- 2002م

8 ـ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (المتوفى: 392هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط4 ، د/ت

9 ـ دراسات لأسلوب القرآن، محمد عبد الخالق عظيمة، دار الحديث القاهرة، د /ت ط

10 ـ دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ،محمد علي بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: 1057هـ) ،اعتنى بها: خليل مأمون شيحا ،دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ،ط4 ، 1425 هـ - 2004 م

11 ـ شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأُشْمُوني الشافعي (المتوفى: 900هـ) ،دار الكتب العلمية بيروت– لبنان،ط1، 1419هـ– 1998مـ

12 ـ شرح الرضي على الكافية ، رضي الدين الأسنرباذي، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، 1398هـ ـ 1978م ، د/ط

13 ـ شرح المفصل، ابن علي بن يعيش ، الطباعة المنيرية بمصر، د/ ت ط

صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تح:محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي – بيروت ، د/ ت ط

14 ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، 1379 ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، د/ ط

15 ـ في النحو العربي نقد وتوجيه، د/مهدي المخزومي، دار الرائد العربي، بيروت . لبنان، ط2 ،1406هـ ـ 1986م

16 ـ الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (المتوفى: 180هـ)تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 ، 1408 هـ – 1988 م

17 ـ التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: 816هـ) ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ،ط1403،1هـ –1983م

18 ـ كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، علي حسين البواب، دار الوطن – الرياض، د/ ت ط

19 ـ المراسيل ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) تح: شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ط1، 1408هـ

20 ـ معاني النحو، د/ فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة ، ط2 ، 2003م

21 ـ المقرب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور، تح: أحمد عبد الستار الجواري ، عبد الله الجبوري، ط1 ، 1392هـ ـ 1972م

22 ـ المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ،أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت ،ط2 ، 1392

23 ـ موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ، محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي (المتوفى: بعد 1158هـ)، تقديم وإشراف ومراجعة: د.رفيق العجم، تح: د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون – بيروت ، ط 1 – 1996م.

24 ـ النحو الوافي، عباس حسن (المتوفى: 1398هـ)، دار المعارف ، ط15 ، د/ ت

25 ـ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع بن أبي بكر السيوطي ، تح : أحمد شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، د/ ت ط

الهوامش:

(1) المراسيل ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ) تح : شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة – بيروت ط1، 1408هـ : 321

(2) البيان والتبيين:13/2 ـ 14

(3) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم:965/1

(4) التعريفات: 121

(5) الخصائص:77/3

(6) الخصائص:82/3

(7) في النحو العربي نقد وتوجيه :246

(8) شرح الرضي:4/ 211

(9) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك:4/ 301

(10) شرح الرضي:4/ 223

(11) السابق:4/ 223

(12) سورة النُّور من الآية (35)

(13) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: 482/1

(14) سورة النُّور: من الآية (40)

(15) سورة إبراهيم :من الآية (17)

(16) سورة البقرة من الآية (71)

(17) سورة البقرة من الآية (67)

(18) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك:1/

(19) دراسات لأسلوب القرآن ، عبد الخالق عضيمة : 8/ 347

(20) معاني النحو: 250/1

(21) صحيح مسلم:252/1

(22) ينظر المقرب: 99/1

(23) شرح المفصل:119/7

(24) أسرار العربية:110

(25) صحيح مسلم:1/ 309

(26) ينظر شرح الرضي :4/ 223

(27) التحرير والتنوير :1/ 557

(28) شرح الكافية الشافية: 1/ 466-469

(29) صحيح مسلم :1/ 126

(30) التحرير والتنوير: 1/ 557

(31) شرح الأشموني على ألفية ابن مالك:292/1

(32) دراسات لأسلوب القرآن ، عبد الخالق عضيمة : 8/ 347

(32) صحيح مسلم، باب في الضعفاء والكذابين ومن يرغب عن حديثهم:1/ 12

(33) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج: 1/ 80

(34) صحيح مسلم ، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ : 3/ 1219

(35) صحيح مسلم ، بَابُ أَخْذِ الْحَلَالِ وَتَرْكِ الشُّبُهَاتِ : 3/ 1219

(36) التصوير النبوي للقيم الخلقية والتشريعية في الحديث الشريف:141

(37) همع الهوامع :127/2

(38) النحو الوافي : 1/ 618 ، معاني النحو : 1/ 250

(39) الأصول في النحو:2/ 209

(40) صحيح مسلم ، باب معرفة طريق الرؤية : 1/ 167

(41) ينظر المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:3/ 28

(42) صحيح مسلم، باب إسلام عمرو بن عبسة:1/ 569

(43) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين:4/ 343

(44) صحيح مسلم:4/ 1872

(45) صحيح مسلم، باب من فضائل أنس بن مالك رضي الله عنه:4/ 1929

(46) فتح الباري شرح صحيح البخاري:4/ 229

(47) سورة ص: من الآية (35)

(48) صحيح مسلم: 1/ 384

(49) سورة ص: من الآية (35)

(50) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:5/ 29

(51) صحيح مسلم: 1/ 451

(52) فتح الباري شرح صحيح البخاري:5/ 454

(53) ينظرالمنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:5/ 153

(54) فتح الباري شرح صحيح البخاري:5/ 454

(55) كشف المشكل من حديث الصحيحين:4/ 338

(56) صحيح مسلم:1/ 218

(57) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:3/ 138

(58) سورة النساء : من الآية (42)

(59) صحيح مسلم : 4/ 2120

(60) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج:17/ 97

(61) السابق :17/ 96

(62) كشف المشكل من حديث الصحيحين: 2/ 129